



تاريخ الفن

للدكتور أحمد موسى

٢

—————

وعندما ظهر مؤلف فردرش كرسست وزميله جيزر عن الفن القديم ، كان مكان اجتماعهما أشبه شيء بأكاديمية للفن التي فيها الكثيرون من أهل العلم والفضل من أولئك الذين كانوا يقرؤون كتب الفرنسيين منذ ساندريت لعدم وجود غيرها من المؤلفات القيمة (والحديثة نسبياً) بغير اللغة الفرنسية

وعلى رأس هؤلاء الأفاضل يوهان يواخيم فنكلان Winckelmann^(١) الذي إليه يرجع الفضل الأكبر في توجيه العقل الألماني إلى وجوب معرفة الحضارات القديمة ودراساتها ، إذ بها وحدها يمكن إيجاد أسس النهوض ووسائل التوجيه المنتج وتحسين الموجود وإمكان الابتكار ، كما كان له فضل عظيم في إيجاد الدراسات الجامعية المنظمة لعلم الآثار وتاريخ الفن

وإلى جانب هذا الرجل يجب التنويه برجلين هما هيني وليبرت كما نذكر فون هاجدورن وهابنكن وفون شتوخ ، الذين عملوا جميعاً على ازدهار هذا العلم بدافع من أنفسهم في كل إخلاص وصدق ومن أهم ما نذكره في مضمار تاريخ الفن القديم على وجه الخصوص تلك الحفريات الموقفة التي أجريت في بومبي Pompeii

(١) يعتبر فنكلان مؤسس علم الأركيولوجيا وتاريخ الفن القديم ، وله آراء محترمة في تعريف الجمال الفني والجمال اللثني وله نظريات مأخوذ بها في علم تاريخ الفن ، كما تدن له الدراسات النية بالطريقة السليكية من حيث ترتيب الطبقة والنوع والتكوين والميزات . وله في ٩ ديسمبر سنة ١٧١٧ باستندال في آلتارك وتوفي في تريستا يوم ٨ يونيو سنة ١٧٦٨

راجع : Justi; Winckelmann, sein Leben, seine Werke und : sein Zeitgenossen. 3 Vols. Leipzig 1898.

بالقرب من نابولي في أواخر القرن الثامن عشر وفي هر كولانوم Herculaneum^(١) وكذلك الأعمال الأثرية الساحية التي قامت بها البعثة الإنجليزية في أثينا برئاسة ستيفارت وديويت والتي ترتب على النتائج الباهرة التي وصلت إليها وما أوجده من روائع الفن خلال الحفر أن تحول الليل من البحث في روما إلى البحث في بلاد الإغريق عن كل ما تحويه أرضها من كنوز يزداد الإعجاب بها والولوع بدرسها كلما ازداد الشعور على شيء من محيطها الهائل . فأصبح ميل العلماء شديداً ، كل في مادة تخصصه ، إلى الهيوليئزم أو الثروة الإغريقية في منطقة هيللاز

عندئذ ولكثرة ما عثر عليه بدأ الأفراد العارفون يجمعون التحف ، وبدأت الحكومات تشجع على أعمال الحفر وتشرف عليها وتأخذ نصيبها مما وجد ، وكان ذلك النواة الأولى لإيجاد المتاحف العامة .

ونحن وإن كنا نعلم تمام العلم أن باريس كانت القلب النابض للآثار وتجارة العاديات بالنظر إلى ما جلبه نابليون ؛ إلا أن ظهور نتائج الحفريات في روما وفي بلاد الإغريق ووصول أهم ما وجد في أثينا على مرتفع أكر وبوليس من أعظم ما رأته العين من نحت الرخام وأعمال التصوير والحفر التي جمعها البارون إلجين^(٢) والمجموعة

(١) تعتبر هر كولانوم ثالثة المدن المهمة في التاريخ القديم الخاص بمنطقة كامبانيا بعد نابولي وكابوا تقع بين نابولي وبومبي على الساحل ، سكنها الإغريق الذين رحلوا من جنوب إيطاليا ، وأصبحت مدينة رومانية منذ سنة ٣٠٧ ق . م . وقد دمرتها الزلازل سنة ٦٣ بعد الميلاد ، كما اكتسحتها حمى بركان فيزوف وغطتها ففقدت معالمها وبني فوقها جزء من مدينة رستينا ، وقد عثر على حمامات مجاورة لهر كولانوم في سنة ١٨٨٠ غاية في الروعة وحسن التنسيق

راجع : Furchheims , Bibliographia di Pompei , Ircolano e Stabia. Napoli 1891.

(٢) Elgin Marbles هي تلك المجموعة الفريدة التي جمعها توماس بروك إلجين في أوائل القرن التاسع عشر بصريح من الحكومة التركية التي كانت تستخدم هذا المرتفع كقلعة حصينة وتمكن بروك بهذا الصريح =

don 1705 اللذان سلكا فيهما مسلكاً نقدياً علياً للإنتاج الفني الحديث ، وكان للكتاب الأول صدى مهد السبيل لترجمته إلى اللغة الألمانية (طبع بهامبورج سنة ١٧١١)

أما تأريخ الفن المتوسط ، ولا سيما فن البناء ، فقد ظهر الاهتمام به في إنجلترا أولاً وكان هذا في أواخر القرن الثامن عشر

وفي ألمانيا اشتغل فريق من العلماء بتاريخ فن التصوير الألماني القديم (نسبياً) على رأسهم فواسيريه وفون كوانت وفرانس كوجلروهيديولف ؛ وكان لإنتاجهم وتقديم صوت مسموع ، جعل من الفنانين تلامذة يقدرّون الفن القديم (نسبياً) ويقتبسونه منه ويسرون على ضوءه ويعملون على إحياء ما بلى منه ؛ فظهر أثر الفن المتوسط لا سيما الفن الروماني

وظهر في فرنسا مثل هذا الاتجاه على أيد فاضلة نسجل بعضها كفوالياي لي دوكل ولابوردي وشابوي ودوسوميرار ودالي وبالوستر ، وظهر في أسبانيا كافيدا ، وفي إنجلترا ستريت وبوجين وجوتر وفرجسون . وكانت النتيجة لهذا المجهود الشامل أن تأرخ الفن الوسيط تأريخاً جامعاً كاملاً . وهنا استطاع المؤرخ الفني المستقل أن يربط بين هذه التاريخ بعد التمهيد لها وتم الأمر في النهاية بوضع تاريخ الفن المتوسط على الأسس الحديثة

ولتأريخ الفن الإيطالي في عصر النهضة قصة ، فجر إيطاليا حب الرحيل إليها ، وجمال الفن الإيطالي لفت النظر إليه ، هذا إلى جانب قيمة استقلال البلاد مما يبعد عنها الدهاء من الأجانب فلا يلتقي فيها سوى أهل العلم والفضل من مختلف الأمم ؛ فاهتم فريق منهم بتاريخ فن عصر النهضة الإيطالي ، ولا يزال نذكر جوتييه وبرسييه وفونتان وليتاروي . وكتاب « أبحاث إيطالية » لمؤلفه رومور (طبع برلين في ثلاثة أجزاء ١٨٢٧ - ٣١) من خير ما ألف لهذا العصر ، ففيه تناول المؤلف طريقة النقد الفلسفي للفن . وعلى منواله نسج كل من بورشاردت الألماني ولانسي وكفالكاسيل وموريللي الإيطاليين وكروا الإنجليزي ، وهؤلاء جميعاً ولا شك أئمة مؤرخي الفن الحديثين

وفي نفس المرحلة الزمنية كان قد بدأ فريق من علماء هولاندا بالاشتغال بتاريخ الفن أمثال شابس وإيمرتسيل وغيرهما ؛ على حين اشتغل ياسافان وفاجين بمشاهدة التراث الفني وتأريخه على أساس

الرائعة التي تمثل الفن الأيجيني Aeginic Art إلى مونيخ ، ومجموعة منحوتات أفاريز معبد برجامون التي تمثل الفن البرجاموني أحسن تمثيل إلى برلين Pergamen Sculptures كل هذا قاسم عظمة باريس وجعل من هذه المدن مدارس للفن ولدراسته العليا وبتأسيس المعهد الأركيولوجي في روما (١٨٢٩) ، وما قام على تأسيسه من إنتاج هائل ونشاط بديع ، وبإيجاد معاهد أركيولوجية لبلدان أخرى - إلى جانب الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٦٦٦ - فإن هذا مما ساعد كثيراً على إيجاد المواد العلمية لتأريخ الفن الذي لا يقتصر على ما هو قديم ؛ بل يتناول كل إنتاج فني أياً كان عصره ، إلا أن الطريقة التي يسلكها في التسجيل والنقد والتقدير والتأريخ القديم لا يمكن أن تكون مشابهة لتلك التي يستخدمها للفن المعاصر الذي شوهه ذوو الأغراض والعجزة المدعون بمن يعتمدون على تشجيع غير الدارسين ، وعلى دعاية الصحافة التي تدعى حرية الفكر والعمل ، لأسباب جوهرية سنذكرها في مقال خاص بفلسفة الفن الحديث

ولقد ظهر بعض الصور المحفور أصلها على لوحات من النحاس Copper Engraving مثلت روائع المهارة ، وأول هذه على ما نذكر ، ما أخرجه جون فيليبيا Felibien في كتابه Recueil historique de la vie des ouvrages des plus célèbres architectes. Paris 1687 وكذلك أندريه فيليبيا في كتابه : Entretien sur les vies et sur les vies et sur les ouvrages des plus excellents peintres. 4 Vols. Lon-

من أخذ جميع ما وقع عليه بصره من كنوز ذكرت وصورت في مجلدات ضخمة ، كما قام بأعمال قياسية ومناجبة دقيقة انتهى منها بعد أن ترك الدار تقي من بنائها .

وترتب على شراهة بروك التي لا نظير لها ورغبته في نقل كل ما يمكن نقله إلى إنجلترا أن تشورت مبانى أكر وبوليس وقصصت قصصاً معيماً ليس له مثيل في تاريخ أعمال الحفر ، لا سيما في أفاريز وحلبات وزخارف وتصاوير بارتون (راجع مقالنا بالرسالة سنة ١٩٣٨) ، ومنها تلك المنحوتات نصف البارزة التي يغفل إلينا أنه لا يمكن إبداع خير منها على الرخام ، ومنها بعض الرهوس وبعض التفاصيل البنائية من معبد إرشتايون (راجع المقال الخامس به في الرسالة سنة ١٩٣٨) وغير ذلك كتمثال ديونيزوس الصبور والذي لا يزال المتحف الأعريقي بلندن (Brit. Mus.) يفخر به ويضمه في أبرز مكان . هذا إلى جانب مجموعة الأحجار الأثرية المسكونة والمنقوشة التي أرسلها إلى لندن داخل سناديق بلفت اللاتين .

راجع : Ellis, The Elgin Marbles in the British Museum

من كل هذا نرى أن تاريخ الفن والكتابة فيه وتناوله
بالقد ليس بالأمر اليسير وليس مما يباح في البلاد المحترمة
لغير المتخصصين

أحمد مرسى

النقد المقارن ، واجتهاد في إيجاد صلات وروابط فنية بين إنتاج
الأمم المختلفة وطلبا التشابه إنتاجا ، نتيجة لتشابه الموقع الجغرافي
العام وتشابه الوسط الأوربي والعقلية والثقافة التي كانت تحيط
بها العقيدة الدينية إحاطة كاملة

كريم بالمؤليف للحلاقت
يتخذى !
ويقول !



- انه افضل كريم حلاقة الوجه ، لأنه يرغى بمعدل ٣٠٠ مرة
- انه لا يشف على الوجه بل يجعل الوجه طريا ناعما للحلاقة
- ان فقايقه تجعل الشعر ينصب فتر عليه الموى وتخلقه بسهولة
- انه هو الكريم الوحيد المركب من زيت الزيتون وزيت
اليخيل . لذلك يشعر الانسان بلذة بعد انتهائ الحلاقة

إلى هذه اللحظة لم تكن المؤلفات الحديثة
عن تاريخ الفن العام قد ظهرت بعد ، ولم يكن
بد من العمل على إيجادها ، فكاتف لحسن الحظ
فريق من علماء الألمان - كتابي تكاتفهم
في مضمار تاريخ الفلسفة - على إخراج مؤلف
شامل ؛ فظهر في الأفق كتاب « شنازه » وبعده
بقليل كتاب « لوبكه » وبعده الكتاب القيم
« لأنطون شيرنجر » وقسمت الكتب إلى عصور
والمصور إلى مراحل والمراحل إلى شعوب فكان
منها تاريخ الفن القديم بما فيه تاريخ فن ما قبل
التاريخ ، وتاريخ الفن المتوسط وتاريخ الفن
الحديث - هذا فضلا عن تقسيم الإنتاج الفني
نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة
وموسيقى وغيرها

وكان للتصوير الفوتوغرافي قيمة في المساعدة
على إخراج الكتب مزودة بصور الإيضاح التي
يعتمد عليها تاريخ الفن كل الاعتماد والتي بدونها
يفقد المؤرخ الفني أهم مادة من مواد درسه ،
حتى لترى بعض الجامعات تشترط على طالب تاريخ
الفن والآثار الدراية التامة بالتصوير الفوتوغرافي
الذي بدونونه لا يتم له العمل

وظهرت معاجم ودوائر معارف للدراسات
الفنية والآثار ننعم بها ، فضلا عن المجلات الخاصة
وعن تقارير أعمال الحفر والاستكشاف الخ
وكان للتقدم الباهر في علم الجيولوجيا قيمته
وأثره في تاريخ الفن وعلم الآثار كما كان لتقديم
دراسة الأنتروبولوجيا أكبر الأثر في تحديد
الإنتاج الفني لكل شعب